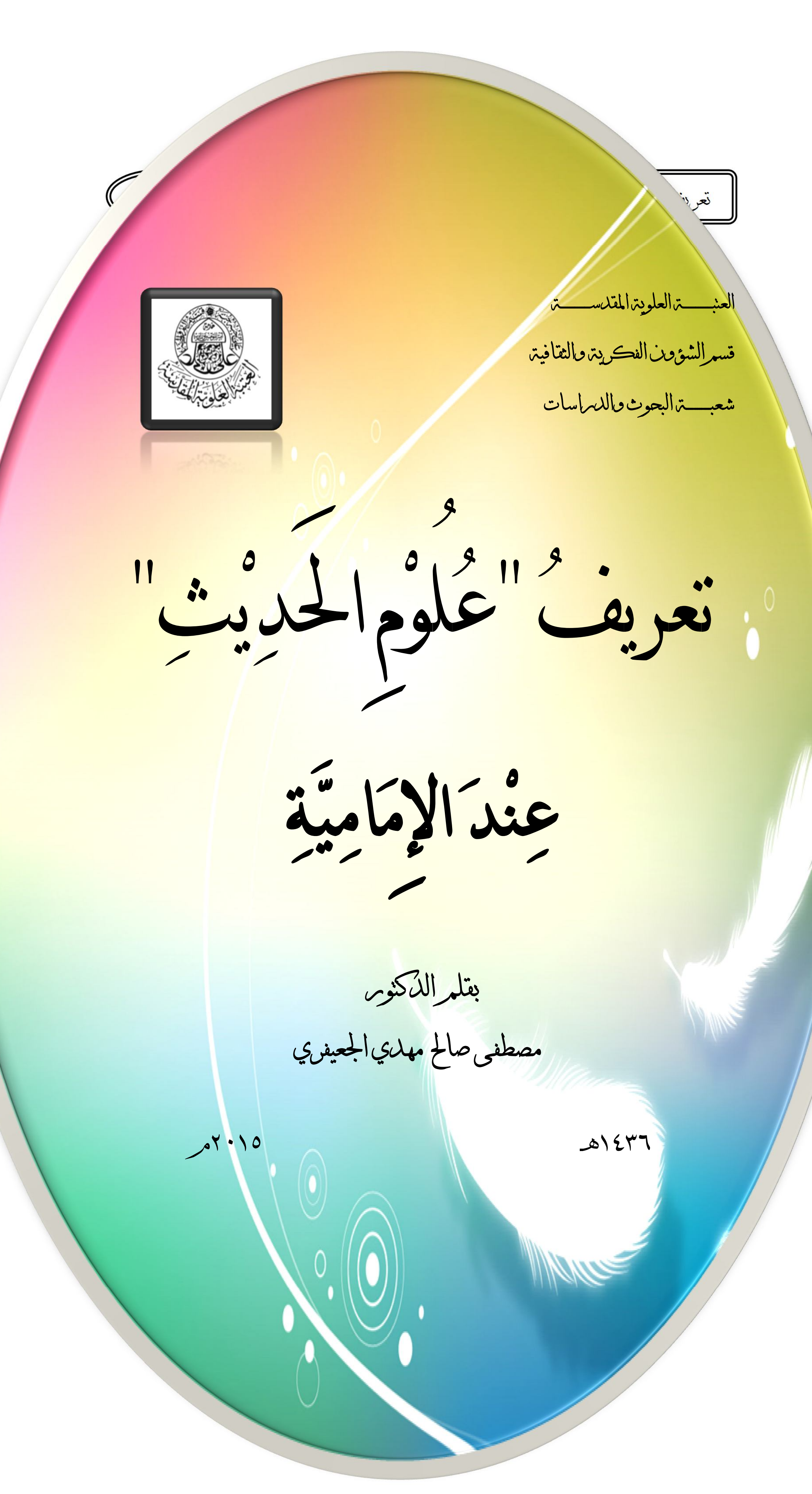


العتبة العلوية المقدسة

قسم الشؤون الفكرية والثقافية

شعبة البحوث والدراسات

تعريفُ "عُلُوْمِ الحَدِيْثِ"

عِنْدَ الإِمَامِيَّةِ

بقلم الدكتور

مصطفى صالح مهدي الجعيفري

١٤٣٦هـ

٢٠١٥م


قائمة المحتويات

تعريف "علوم الحديث": وهو حدُّ علوم الحديث

ان علوم الحديث مركب إضافي، والمركب الإضافي يعرف بأحد اعتبارين:

❖ **<u>المحور الاول- اعتبار لفظي</u>**، وهو : ما يفهم من مفرديه عند تقييد الأول بإضافته للثاني ، وبالتالي يلزم في تعريفه تعريف مركبيه من المضاف "علم"، والمضاف إليه "الحديث"، والإضافة " علم الحديث " ، التي هي بمنزلة الصورة التي تضم المركب الإضافي اللغوي .

❖ **<u>المحور الثاني- اعتبار علمي</u>** (اعتبار اصطلاحي)، أي " علوم الحديث " باعتباره علما على هذا الفن الخاص به ، من غير نظر إلى الأجزاء المكونة له، وبالتالي يحتاج إلى تعريفه باعتباره كلمة واحدة أو مصطلح واحد وان تعددت مفرداته ، فهو بمثابة المصطلح العلمي.

المحور الاول: الإعتبار اللفظي:

ان الاعتبار اللفظي لمصطلح (علوم الحديث) يتكون من مفردتين: (علوم) و(الحديث). وان كل من هذه المفردات تلحظ من جهة اللغة والاصطلاح. كما سوف يتبين من خلال التمهيد.

التمهيد :

إرتأينا ان يقوم المبحث الاول على تمهيد ، يُعرِّف بالمفردات الآتية : (علوم)و(الحديث) من حيث اللغة والاصطلاح وهو **(الاعتبار اللفظي)** لمصطلح (علوم الحديث)، وهو كما سوف يتضح:

أولاً-تعريف "العلم" لغةً واصطلاحاً

عندما نرجع إلى مصادر اللغة الأم نجد ان العلم لغة مشتق من جذر مادة الفعل (علم)، والعلم نقيض الجهل وهو يثنى ويجمع، فيقال: هذان علمان وهذه علوم. ولعل ابرز وأشهر وأوضح تعاريف العلم في اللغة هو بحسب ما سيأتي:

١- العلم، في اللغة

العلم، في اللغة: يعني، "المعرفة"*[١]، والمعرفة تشمل اليقين (وهو القطع) (١٠٠٪)*[٢]، والظن (٧٠٪)*[٣]،والشك(٥٠٪)*[١]،

(١) * العلم لغة يعني المعرفة. ينظر بتصرف: الزبيدي، تاج العروس، ١٧/ ٤٩٥-٤٩٦،مادة(علم)، وينظر بتصرف: ابن منظور، لسان العرب (ويجوز أن تقول عَلِمْتُ الشيء بمعنى عَرَفْته وخَبَرْته)، ١٢/ ٤١٨، مادة(علم). العلم: هو اسم جنس عام يشمل كل العلوم، و العلم: نقيض الجهل، ويعني إدراك الشيء بحقيقته. وقيل العلم: يعني المعرفة ((الفرق بين العلم والمعرفة هو: العلم يقال لإدراك الكلي، والمعرفة تقال لإدراك الجزئي، ومن هنا كان من أسماء الله العالم وليس العارف، ومن هنا قلنا عرفنا الله وليس علمنا الله " عزوجل "، وقولنا: الله اعلم، وليس الله اعرف.

(٢) * اليقين لغةً: العلم، وإزاحة الشك. واصطلاحًا: اعتقاد الشيء بأنه كذا مع اعتقاده أنه لا يمكن إلا كذا، مطابقًا للواقع غير ممكن الزوال. ينظر: يحيى عبد الهادي ابو زينة، منهج القطع والظن في اصول الفقه، ٦.

(٣) * الظن لغة من مادة (ظن) وهي من الفاظ (الضد) اذا تعني الشك واليقين فانبته، والظن لغة: هو التردد الراجح بين طرفي الاعتقاد، غير الجازم، وجمعه: ظنون وأظانين. الزبيدي، تاج العروس، ٣٥/ ٣٦٦. والظن: اسم لما يحصل عن إمارة ومتى قويت أدت إلى العلم ومتى ضعفت جدًا لم تتجاوز حد التوهم. والظن في الاصطلاح: تجويز امرين احدهما اظهر - اقوى - من الاخر. في حين الشك اصطلاحا هو تجويز امرين لا مزية لاحدهما على الاخر. ويطلق الظن ويراد به معان متعددة .

والوهم(٣٠٪)*[٢]. الحق ان الذي يظهر هنا ان العلم والمعرفة مترادفان، الا ان الواقع الاستعمال يقول ان العلم اخص من المعرفة؛ لتعدد معانيها.

فقد يراد به اليقين كقوله تعالى: "الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم" وقد يراد به الشك كقوله تعالى: ﴿**إِنْ نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا**﴾ الجاثية،٣٢. يعني ما نشك إلا شكًا وكما في الحديث: "إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث" أراد الشك يعرض لك في الشيء فتحققه وتحكم به.

(١) * الشك لغة: الارتياب والتداخل والالتباس. في حين الشك اصطلاحا هو تجويز أمرين لا مزية لأحدهما على الآخر. وقال الرازي: هو أن يبقى الإنسان متوقفاً بين النفي والإثبات. فالتردد في قيام زيد ونفيه على السواء شك، ومع رجحان الثبوت أو الانتفاء ظن. ينظر: الحقيل، إبراهيم بن محمد الحقيل، مذهب الشك ونقضه بالقرآن، ص١-٤.

(٢) * الوهْم –بتسكين الهاء –لغة هو الظن الفاسد والخداع الحسي وكل ما هو غير مطابق للواقع، ويجمع على اوهام وله معان: الغفلة والتهمة والغلط. وفي الاصطلاح هو إدراك الواقع على غير ما هو عليه. ان كان الحكم جازما لا يقبل التغيير فهو العلم (١٠٠٪)، وان قبله فهو الاعتقاد –الاعتقاد هو حكم الذهن الجازم فان طابق الواقع فصحيح، وان خالف الواقع ففاسد، فاعتقادنا بان الله واحد صحيح، واعتقاد النصارى ان الله ثالث ثلاثة فباطل–، وان لم يكن الحكم جازما فأما أن يتساوى طرفاه فهو الشك(٥٠٪)، وأما أن يرجح احدهما فالراجح هو الظن(٧٠٪) والمرجوح هو الوهم (٣٠٪). وقيل الوهم: ما يقع في القلب من تصور خاطئ و فكرة خاطئة، ويقال صورة ذهنية مركبة ليس لها ما يطابقها في الواقع. والوهم –بفتح الهاء او كسرها –فهو مرادف للخطا كقولك: له اوهام أي له اخطاء. وقيل الوهم اصطلاحا هو الطرف المرجوح(٣٠٪) الذي يقابله الظن

خصوصا من جهة الا ان لكيهما تعيين في الاستعمال- كما قلنا من ان الله عزوجل لا يوصف بالعارف وانما بالعالم، فظلا عن وجود نسبة وتناسب بينهما في بعض الاحايين. كما يظهر خصوص وعموم بين المعرفة واليقين، فالمعرفة اعم من اليقين فانتبه* (١).

وعلى هذا نجد ان العلماء متفاوتون من جهة المعرفة، لا من جهة العلم بعينه (فهذا العالم في مقام العلم- أي اليقين-، وذاك في مقام الظن، وهذا في مقام الشك، وذا في مقام الوهم).

(٧٠٪). ينظر بتصرف: محمود عبد الرحمن عبد المنعم، معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية، ٣/ ٥٠٥.

(١) * اذا كان الحكم جازما لا يقبل التغيير فهو العلم (١٠٠٪)، وان قبله فهو الاعتقاد — الاعتقاد هو حكم الذهن الجازم فان طابق الواقع فصحيح، وان خالف الواقع ففاسد، فاعتقادنا بان الله واحد صحيح، واعتقاد النصارى ان الله ثالث ثلاثة فباطل-، وان لم يكن الحكم جازما فاما ان يتساوى طرفاه فهو الشك(٥٠٪)، واما ان يرجح احدهما فالراجح هو الظن(٧٠٪) والمرجوح هو الوهم(٣٠٪). ينظر بتصرف: محمود عبد الرحمن عبد المنعم، معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية، ٣/ ٥٠٥.

٢-تعريف (العلم) اصطلاحا:

يرى المتخصصون صعوبة ترويض العلم تحت مفهوم او معنى او مصطلح معيّن؛ لان العلم لا يحد في وجه من الوجوه. فهو في كل شيء داخل، وهو يتجدد بتجدد الزمان، ويولد بولادة المكان، فهو موجود في صغريات الامور وكبرياتها، حتى في الجهل يوجد علم. لان الجهل بحد ذاته علم(لكن مع الفارق، وسياق الاستعمال) وهو ما يسمى بفن الجهل.

نعم للعلماء عبارات مختلفة في تعريف العلم، ومما قالوا في ذلك:

- العلم اصطلاحا: "مجموعة المسائل والأصول الكلية المتعلقة بجهة واحدة"[(١)].

(١) ينظر: حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله كاتب جلبي القسطنطيني،كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، الناشر:دار إحياء التراث العربي.

- العلم اصطلاحا: هو كل منظم من المعرفة التي تتضمن الحقائق والمفاهيم والقوانين والنظريات والمبادئ وهذا التعريف يؤكد على الجانب المعرفي للعلم وينظر إلى العلم بكونه مادة.
- العلم اصطلاحا: هو عبارة عن طريقة للبحث والتفكير وهذا التعريف يؤكد على الطريقة العلمية في البحث في تعريف العلم وينظر إلى العلم بكونه طريقة.
- العلم اصطلاحا: هو "هو كل نوع من العلوم و المعارف و التطبيقات. وهو مجموع مسائل وأصول كليّة تدور حول موضوع معين أو ظاهرة محددة وتعالج بمنهج معين وينتهي إلى النظريات والقوانين [(١)]".
- العلم اصطلاحا: هو "الاعتقاد الجازم المطابق للواقع وحصول صورة الشيء في العقل[(٢)]".
- العلم هو المعرفة التي يتم التوصل لها من خلال الدراسة أو الممارسة
- العلم هو ما وراء الوصول إلى المعرفة. وهو التساؤل المنظم المرتب عن العالم الطبيعي وعن ظواهره. فالعلم هو الوصول إلى فهم أعمق وفي الغالب فهماً نافعا للعالم.

---

(١) ينظر: مجمع اللّغة العربية في القاهرة (١٩٨٠): المعجم الوجيز، مادة "علم" ص:٤٣٢.

(٢) الجرجاني، علي بن محمد، (ت ٨١٦ هـ) : كتاب التعريفات، ص.١٥٥.

- العلم اصطلاحا: هو أنه الاعتقاد الجازم المطابق للواقع.

- العلم اصطلاحا: هو حصول صورة الشيء في العقل.

- العلم هو الملاحظة المنظمة للأحداث والظروف الطبيعية، من أجل اكتشاف الحقائق عنها ومن أجل صياغة القوانين والمبادئ التي تعتمد على هذه الحقائق.

- العلم اصطلاحا: هو " معرفة الشيء على ما هو به".

- العلم *Science* بأختصار هو طريقة للبحث والدراسة في طبيعة الاشياء الموجودة في العالم من حولنا، وكيفية عملها وسلوكها، وذلك لفهمها وتفسير ما نلاحظه.

- العلم اصطلاحا: عند كارل بيرسون *(Karlpearson)* فيرى أن ميدان العلم غيرُ محدد... كل مجموعة من الظاهرات الطبيعية، كل طورٍ من أطوار الحياة الاجتماعية، كل مرحلةٍ من مراحل التطور القديم أو الحديث... كلٌّ ذلك يعتبر مادة للعلم.

- إن العلم يضمُّ كل بحثٍ عن الحقيقة، يجري مُنزَّهاً عن الأهواء والأغراض، يعرض الحقيقة صادقة، بمنهجٍ يرتكز دعائم أساسية"ويحدِّد هذا التعريف المعنى الذي نقصده.

٣-تعريف الباحث للعلم:

انني اجد ان تعريف العلم فيما يخص المؤلفات التي تنطوي تحت اسس وقواعد منظمة للوصول الى فهم اتم بخصوص علوم الشريعة. هو"مجموع الضوابط والاسس*[1] الكليّة التي تدور حول موضوع معين وتنتهي إلى القواعد والقوانين".

(١) *هنالك من يرى وجود تباين في المفهوم والدلالة والمعنى بين " القاعدة والأصل والضابطة والأساس والقانون والمعايير والمبادئ والقضايا " بحاكمية قواميس اللغة- ينظر بتصرف:هادي حسين عمران الفائزي، قواعد تفسير القرآن الكريم أسسها المنطقية، استنباطها، قطعيتها، ٢١-، لكن البحث يرى وجود أوجه تقارب في المفهوم والدلالة والمعنى -بمعنى الترادف أو الاشتراك المعنوي لا اللفظي- لكل من المصطلحات المتقدمة، والحاكم على قولنا: قواميس اللغة أيضا. ينظر بالتفصيل: الجعيفري، مصطفى صالح، العلم في المنظور الإسلامي: المفهوم، المبادئ، الأقسام.

ثانياً - تعريف "الحديث" لغةً واصطلاحاً

١- مفهوم [الحديث] في اللغة :

- الحديث: لغةً – أو من جهة الاعتبار اللفظي كما يقولون -: اسم مفعول من مادة (ح د ث)، على وزن (فعيل) كـ: (حبيب) و (جريح) بمعنى محبوب ومجروح، واسم الفاعل منه حادث. والحديث صفة مشبهة مشتقة من الفعل " حَدَّثَ "، يحدث، تحديثاً.

- والحديث: لغةً: اسم جنس يطلق على القليل والكثير منه، والجمع "أحاديث" وهو جمع تكسير على غير قياس[١].
- وقيل: لَمَّا أحاديثُ النَّبِيّ، صلى الله عليه وآله فلا يكونُ واحدُهَا إلاّ حَديثاً [٢].
- وورد في حديث فاطمة "عليها السلام": "أَنَّهَا جَاءَتْ إِلى النَّبِيّ صلى الله عليه وآله فَوَجَدَتْ عندَهُ حُدَّاثاً" أي جَمَاعَةً يَتَحَدَّثُون، وهو جَمْعٌ على غيرِ قِياس، حَمْلاً على نَظِيرِه، نحو سامِرٍ وسُمَّارٍ، فإنّ السُّمَّارَ المُحَدِّثُونَ[٣].

(١) ينظر بتصرف: الجوهري، إسماعيل بن حماد، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ١ / ٢٧٨، وينظر: الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، ٣ / ١٩١.

(٢) الزبيدي، تاج العروس، ٣ / ١٩٢.

(٣) الزبيدي، تاج العروس، ٣ / ١٩٣.

وللحديث عدة معانٍ:

١- "الحديث"، بمعنى: "الكلام"[١]، فالحديث لغة: ما يرادف الكلام ؛ وذلك "لتجدده وحدوثه شيئا فشيئا"[٢]، وهو يستعمل في قليل الكلام وكثيره، وجمعه أحاديث[٣]، و يقال: الحَديثُ: ما يُحَدِّثُ به المُحَدِّثُ تَحْديثاً، وقد حَدَّثَهُ الحَديثَ، وحَدَّثَهُ به[٤]. وهو كل ما يصدر عن الإنسان، ويتم نقله بواسطة الصوت أو الكتابة. ومما يؤيد أن الحديث بمعنى الكلام هو قوله تعالى: ﴿اللهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا﴾[٥]، بمعنى: أحسن الكلام،

---

(١) ينظر: الفراهيدي، العين، ٣/ ١٧٧. ينظر: الجوهري، الصحاح، ١ / ٢٧٨. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ٢ / ١٣١، ينظر: الزبيدي، تاج العروس، ٣/ ١٩١. الطريحي، مجمع البحرين، ١ / ٤٦٩.

(٢) الطريحي، مجمع البحرين، ٢ / ٢٤٦.

(١) ينظر: الرازي، محمد، مختار الصحاح، ٧٤ ؛ العسكري، الفروق اللغوية،٢١١؛ الفيروز آبادي، القاموس المحيط،،١/ ١٦٤؛ الطريحي، مجمع البحرين،١/ ٤٦٩؛ مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط،١/ ١٦٠.

(٤)ينظر: الزبيدي، تاج العروس، ٣/ ١٩١.

(٥)الزمر،٢٣.

وقوله تعالى: ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾[١]، بمعنى: أي كلام بعده يؤمنون؟ وكل كلام يبلغ الإنسان من جهة السمع أو الوحي، في يقظته أو منامه، يقال له: حديث[٢].

٢- **"الحديث"، يعني: "الجديد"**[٣]، أي نقيض القديم[٤]وضد القديم[٥]؛ وذلك لتجدده وحدوثه شيئا فشيئا[١]، إذن فالحديث

---

(١) المرسلات،٥٠.

(٢) ينظر: الراغب الأصفهاني، المفردات،١٢٤؛ الفيومي، أحمد (ت ٧٧٠هـ)، المصباح المنير،١٢٤.

(٣) ينظر: الفراهيدي، العين، ٣/ ١٧٧. ينظر: الجوهري، الصحاح، ١ / ٢٧٨. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ٢ / ١٣٣، ينظر: الزبيدي، تاج العروس، ٣/ ١٨٩.

(٤)الجوهري، إسماعيل بن حماد، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ١ / ٢٧٨، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ٢ / ١٣١. ينظر: الزبيدي، تاج العروس، ٣/ ١٨٩.

(٥) ❊ وقيل الحديث ضد القديم، فلفظ الحديث يفيد من جهة العادة حدوثه عن قرب، ولذلك يقال: إن هذا الشيء حديث، وليس بعتيق فيجعلون الحديث ضد العتيق الذي طال زمان وجوده، ويقال: في الكلام إنه حديث ؛ لأنه يحدث حالا

لغة: يطلق على: الجديد، ضد القديم. ومنه حَديثُ رسول الله صلى الله عليه وآله وهو حَدِيْثُ عَهْدٍ بالإسلام، أي قريب عهد بالإسلام [٢]. ويقال: اشتريت ثوبا حديثا، واقتنيت مركبا حديثا، أي: مركبا جديدا. ويقال: الحديثُ: الجديدُ من الأَشياء [٣].

توضيح/ إن الحديث: يُطلق على كل كلام يُتحدث ويُخبر به، قال تعالى: ﴿اللّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لاَ رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللّهِ حَدِيثاً﴾[٤]، وقال تعالى: ﴿وَإِذْ أَسَرَّ النبي إِلَى بَعْضِ

بعد حال على الأسماء. ينظر: الرازي، محمد بن عمر بن الحسين (ت ٦٠٦هــ)، مفاتيح الغيب، ١٥ / ٧٧، وينظر: الغفاري، علي، دراسات في علم الدراية، ١١.

(١) الطريحي، مجمع البحرين، ١ / ٤٦٩. ينظر: الرازي،، محمد بن عمر بن الحسين (ت٦٠٦هـ)، مفاتيح الغيب، ١٥ / ٧٧، وينظر: الغفاري، علي اكبر، دراسات في علم الدراية، ١١.

(٢) الفيومي، أحمد بن محمد بن علي المقري، المصباح المنير، ١ / ١٢٤.

(٣)ينظر: الفراهيدي، العين، ٣/ ١٧٧. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ٢ / ١٣٣.

(٢) النساء،٨٧. وينظر: تفسيرها: الطوسي، التبيان،٣/ ٢٨٠؛ الطبرسي، مجمع البيان،٣/ ١٤٩

أَزْوَاجِهِ حَدِيثاً فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَن بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ﴾(١).

٣- **"الحديث"، يعني" الخبر"**(٢)، فهو مرادف له(٣)، [فهو] يأتي على القليل والكثير [منه]- فهو يطلق على القليل من الحديث

(٣) التحريم،٣. ينظر: تفسيرها: الطوسي، التبيان،١/ ٤٦-٤٧؛ الزمخشري(ت ٥٣٨هـ)، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل،٤/ ١٢٦-١٢٧.

(٢) ينظر: الجوهري، إسماعيل بن حماد، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ١ / ٢٧٨، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ٢ / ١٣٣، ينظر: الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، ٣ / ١٩١.

(٧) الحديث مرادف للخبر، فهما بمعنى واحد، وهو ما صدر عن المعصوم من قول أو فعل أو تقرير، وما حديث المعصوم إلا الخبر المرفوع إليه (ينظر: الشهيد الثاني، الرعاية في علم الدراية،٤٩؛ البهائي، الوجيزة،٢٠.)، يدل على ذلك ما رواه زرارة بن أعين ما رواه زرارة بن أعين، قال: سألت الإمام الباقر٧فقلت: جُعلت فداك يأتي عنكم الخبران أو الحديثان المتعارضان فبأيهما آخذ؟ فقال: "يا زرارة خذ بما اشتهر بين أصحابك ودع الشاذ النادر" الأحسائي، ابن أبي جمهور، محمد بن علي بن إبراهيم (ت ٨٨٠هـ)، عوالي اللئالي العزيزية في الأحاديث

والكثير منه-، ويُجمع على أحاديث على غير قياس[1]. ولعل ما يؤيد ويقرب كون الحديث بمعنى الخبر هو قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى﴾[2]،وقوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ﴾[3].

٤- **"الحديث"، يعني: "ما يُتَحَدَّثُ به ويُنقل"**[4]. فقد عرَّج صاحب "المصباح المنير" على هذا الموضوع، مشيراً إلى أن الحديث هو لغة ما يُتحدث به وينقل، واليك نص العبارة: " والحديثُ : ما يُتَحَدَّثُ به ويُنقل، ومنه حَدِيثُ

الدينية،٤/ ١٣٣؛ وينظر: المجلسي، البحار،٢/ ٢٤٥ . فالراوي يُعبّر عن ما صدر من المعصومين بالخبر أو الحديث، والإمام يقرّه على ذلك ويجيبه على سؤاله من دون تعليق، وهذا يدل على الترادف بين الخبر والحديث.

(١) الجوهري، إسماعيل بن حماد، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ١ / ٢٧٨، وينظر: الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، ٣ / ١٩١.

(٢) النازعات،١٥.

(٣) الغاشية،١.

(٤) الفيومي، أحمد بن محمد بن علي المقري، المصباح المنير، ١ / ١٢٤.

رسول الله وهو حَدِيْثُ عَهْدٍ بالإسلام، أي قريب عهد بالإسلام"[1].

٢- مفهوم [الحديث] في الاصطلاح:

ومما تقدم في الدراسة اللغوية لمفردة "الحديث" يظهر أن معنى "الحديث"في الاصطلاح لا يبتعد كثيراً عن معناه اللغوي، فهو مشتق منه، وقريب إليه.

- فـ"الحديث"عند الشهيد الثاني، يعني: "ما جاء عن المعصوم من النبي و الإمام "[2].
- و"الحديث" عند الشيخ البهائي، يعني: " كلام يحكي قول المعصوم أو فعله أو تقريره...و لو قيل الحديث قول

(١) الفيومي، المصباح المنير، ١ / ١٢٤.

(٢) الشهيد الثاني، الرعاية في علم الدراية، ٥٠.

المعصوم عليه السلام أو حكاية قوله أو فعله أو تقريره لم يكن بعيداً؛ أما نفس الفعل و التقرير فيطلق عليهما السنة لا الحديث"[١].

- و"الحديث" عند المامقاني: "هو ما يحكي قول المعصوم عليه السلام أو فعله أو تقريره"[٢].

---

(١) البهائي، الوجيزة في علم الدراية، ٢.

(٢) المامقاني، عبد الله (ت ١٣٥١هـ)، مقباس الهداية في علم الدراية، ١/ ٥٧.

التعريف بـ[الحديث] من جهة المقابلة بين المفهوم والمصداق عند الشيعة والسنة.

أولا- التعريف بــ" الحديث " من جهة المقابلة بين المفهوم والمصداق عند الشيعة.

كما قلنا: مفهوم " الحديث" عند الشيعة الامامية هو " الكلام الذي حكاه الرواة واخبرونا به عن: قول، وفعل، وتقرير المعصوم عليه السلام - حتى الحركات، والسكنات في اليقظة والنوم - قبل البلوغ وبعده".

والمعصوم[1] هنا هو: ١- النبي محمد صلى الله عليه وآله، ٢- والائمة الطاهرين من نسل النبي الخاتم عليهم السلام، وهم: الامام علي بن ابي طالب عليه السلام – وهو صهره، وابن عمه، ووصيه على الامة من بعده – ، والامام الحسن عليه السلام، والامام الحسين عليه السلام، والامام السجاد عليه السلام، والامام الباقر عليه السلام، والامام الصادق عليه السلام، والامام الكاظم عليه السلام، والامام الرضا عليه السلام، والامام الجواد عليه السلام، والامام الهادي عليه السلام، والامام العسكري عليه السلام، والامام المهدي المنتظر "عج" وهؤلاء هم : المصداق الاتم، والاكمل، والافضل، والاسلم، والاشمل لمفهوم "الحديث" عند الشيعة.

واليك بعض الروايات التي نصت على الأئمة بأسمائهم، أو تسمية بعضهم، من قبل النبي محمد صلى الله عليه وآله :

فعن عبد الله بن عباس، قال رسول الله صلى الله عليه وآله : " أنا سيد النبيين، وعلي ابن أبي طالب سيد الوصيين، وإن أوصيائي بعدي

(١) هنا جرى الاختلاف، من جهة، من يكون المعصوم ؟، فالشيعة يرونه: ١- النبي صلى الله عليه وآله ٢-وآله عليهم السلام ، وأهل السنة والجماعة يرونه: ١-النبي٢ صلى الله عليه وآله – وصحبه.

اثنا عشر، أولهم علي ابن أبي طالب، وآخرهم القائم"[١]، فهذا إخبار من رسول الله ﷺ بتسمية الأول والأخير من الأئمة عليهم السلام والاكتفاء بتسميتهم عن ذكر الباقين.

وعن عبد الله بن عباس، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "أنا وعلي والحسن والحسين، وتسعة من ولد الحسين، مطهرون معصومون"[٢]، فرسول الله ﷺ يصرح بعصمة أصحاب الكساء الذين نزلت بحقهم آية التطهير، ويلحق بهم الأئمة التسعة المعصومين من ذرية الحسين عليه السلام .

وكذا عن عبد الله بن عباس، قال رسول الله ﷺ : " إن وصيي والخليفة من بعدي علي بن أبي طالب، وبعده سبطاي الحسن ثم الحسين، تتلوه تسعة من صلب الحسين أئمة أبرار، إذا

---

(١)الصدوق، محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (ت ٣٨١هـ)، عيون أخبار الرضا عليه السلام ، ٢/ ٦٦؛ والإربلي، علي بن أبي الفتح الإربلي (ت ٦٩٣هـ)، كشف الغمة في معرفة الأئمة، ٣/ ٣١٤.

(٢)الصدوق، أبو جعفر، محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (ت ٣٨١ هـ)، كمال الدين وتمام النعمة، ٢٨٠.

مضى الحسين فابنه علي، فإذا مضى علي فابنه محمد، فإذا مضى محمد فابنه جعفر، فإذا مضى جعفر فابنه موسى، فإذا مضى موسى فابنه علي، فإذا مضى علي فابنه محمد، فإذا مضى محمد فابنه علي، فإذا مضى علي فابنه الحسن، فإذا مضى الحسن فابنه الحجة محمد المهدي، فهؤلاء إثنا عشر، أئمة عدد نقباء بني إسرائيل"[١]، فرسول الله ﷺ لم يدع مجالا للشك، حينما نص على وصاية الأئمة للمسلمين من بعده وخلافتهم، وذكرهم بأسمائهم وعددهم.

كما ورد عن جابر بن عبد الله الأنصاري، قال: لما أنزل الله على نبيه محمد ﷺ قوله: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إلى اللّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلا**﴾[٢]، قلت: يا رسول الله عرفنا الله

(١)العاملي، يوسف بن حاتم الشامي المشغري العاملي (ت٦٦٤هـ)، الدر النظيم، ٧٨٩؛ البروجردي، آقا حسين الطباطبائي (ت ١٣٨٣هـ)، جامع أحاديث الشيعة، ١/ ٥٦.

(٢) النساء، ٥٩.

ورسوله، فمن أولوا الأمر الذين قرن الله طاعتهم بطاعتك؟ فقال ﷺ : "هم خلفائي يا جابر، وأئمة المسلمين من بعدي، أولهم علي بن أبي طالب، ثم الحسن والحسين، ثم علي بن الحسين، ثم محمد بن علي- المعروف بالتوراة بالباقر، وستدركه يا جابر، فإذا لقيته فاقرأه مني السلام- ثم الصادق جعفر بن محمد، ثم موسىٰ بن جعفر، ثم علي بن موسىٰ، ثم محمد بن علي، ثم علي بن محمد، ثم الحسن بن علي، ثم سميي وكنيي حجة الله في أرضه وبقيته في عباده ابن الحسن بن علي "(١)، وهذا نص من الشارع المقدس علىٰ أن إطاعة الأئمة المعصومين الذين هم خلفاء رسول الله ﷺ وأئمة المسلمين من بعده واجبة علىٰ الأمة ومنصوص عليها، وهي مقرونة بإطاعة الله، وبإطاعة الرسول الكريم ﷺ وإن عصيانهم إنما هو عصيان لله تعالىٰ ورسوله ﷺ .

(١) الصدوق، كمال الدين وتمام النعمة، ٣٦٥؛ وينظر: الكاشاني، الفيض الكاشاني (ت١٠٩١هـ)، التفسير الصافي، ١/ ٤٦٤.

هذا من غير ان يشمل اقوال وافعال وتقارير الصحابة والتابعين، فما كلامهم أو افعالهم أو تقاريرهم الا بمثابة الاجتهاد المتوقف عليهم، خصوصا فيما يخص مخالفتهم لقول النبي صلى الله عليه وآله وآله عليهم السلام .

بمعنى اذا تبنوا رأياً يخالف النبي وآله، فهذا بدعة، وهو ليس من السنة، وانما هو بمثابة الاجتهاد المتوقف عليهم ليس إلّا .

اما اذا وافقوا النبي صلى الله عليه وآله وآله عليهم السلام فانما هو اتباع لهم، وهو حديث تجوزا باعتبارهم – الصحابة - نقلوا عنهم عليهم السلام – أي هم بمثابة الرواة أو ما يعادلهم -، كقول ابو بكر أو عمر أو عثمان: سمعت النبي صلى الله عليه وآله يقول:...، أو سمعت الامام علي عليه السلام يقول:...، أو سمعت الحسن بن علي عليه السلام يقول:...،... ودوواليك.

اذن يتضح في المقام ان مصطلح " الحديث" عند الامامية يتسع لاحاديث الرسول صلى الله عليه وآله واهل بيته عليهم السلام ، ووصف " الشريف " المتعلق بالحديث، انما هو صفة تمييز ومدح وتكريم.

ثانياً- التعريف بـ[الحديث] من جهة المقابلة بين المفهوم والمصداق عند السنة.

كما تبين لنا ان مفهوم ″ الحديث ″ عند جمهور المحدثين هو: أقوال النبي ﷺ سوى القرآن، وأفعاله وتقريراته، وصفاته الخَلقية، والخُلقية، وسائر أخباره سواءً كان ذلك قبل البعثة أم بعدها، وكذلك أقوال الصحابة والتابعين، وأفعالهم، وتقاريرهم[(١)].

---

(١) الحديث النبوي :هو: ما أضيف إلى النبي صلى الله عليه وسلم قولاً أو فعلاً أو وصفاً أو تقريراً، وسمي بذلك مقابلة للقرآن الكريم فإنه قديم، وقد أطلق كثير من المحدثين اسم الحديث على أقوال الصحابة والتابعين وأفعالهم وتقريرهم، ولكنهم يسمون ما أضيف إلى النبي صلى الله عليه وسلم حديثاً مرفوعاً، وما أضيف إلى الصحابي يسمونه حديثاً موقوفاً، وما أضيف إلى التابعي يسمونه مقطوعاً.

فيكـون المصـداق[١] عنـدهم لمفهـوم "الحـديث" هـو: ١- رسـولنا محمدصَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ، ٢- الصحابة، ٣- التابعين[٢].

---

(١) يجب التنبه هنا الى اننا قلنا مصداق الحديث عند السنة وليس مصداق العصمة عندهم، اذ يوجد فرق بين المعنيين. لهذا يؤاخذ على السنة ان يعملوا بالحديث الوادر عن الصحابة والتابعين؛ لانهم غير معصومينعليهم السلام، فكان الاجدر من الصحابة التوقف في الاثار التي وردت عن عنهم.

(٢) لقد تبين ان العلماء يطلقون لفظ السنة على الحديث والحديث على السنة في اغلب الاحـايين، وعلـى هـذا نعـرض للقـارئ الكـريم تعريـف السـنة عنـد محـدثي الجمهور(العامة)، اذ يوجد تعريفاتٌ متعددة للسنَّة، من هذه التعريفات:

١-**المعنى الاول للسـنة**: هي أقواله ﷺ وأفعاله، وتقريراته، وصفاته الخَلقية والخُلقية، وسائر أخباره سواء كان ذلك قبل البعثة أم بعدها.

هـذا هـو المشـهور عنـد جمهـور المحـدثين، وكـأن السنَّة عنـدهم خاصـة بالحـديث المرفـوع فقط، أما الموقوفُ والمقطوعُ فلا.

ولعل سند هؤلاء فيما ذهبوا إليه هو: تسميةُ النبي ﷺ لكلِّ ما جاء به في مقابلة القرآن بالسنَّة مثل قوله في خطبته في حجة الوداع: " يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي قَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا إِنِ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ فَلَنْ تَضِلُّوا أَبَدًا كِتَابَ اللَّهِ وَسُنَّةَ نَبِيِّهِ ﷺ "(المستدرك للحاكم(٣١٨) والسنن الكبرى للبيهقي (ج ١٠ / ص ١١٤) (٢٠٨٣٣)وهو صحيح لغيره . وقال ابن عبد البر : " هذا حديث مشهور عن النبي ﷺ عند أهل العلم شهرة يكاد يستغنى بها عن الإسناد"، الزرقاني في شرحه للموطأ (٢٤٦/٤) وفتح المالك بترتيب التمهيد لابن عبد البر على موطأ مالك (٢٨٢/٩-٢٨٣).

وعلى هذا القول يحملُ تسميةُ كثير من المحدثين لكتبهم في الحديث باسم السُّنن مثل: سنن أبي عيسى الترمذي المتوفى سنة ٢٧٩هـ وسنن الإمام أبي داود السجستاني المتوفى سنة ٢٧٥هـ وسنن النسائي المتوفى سنة ٣٠٣هـ وسنن ابن ماجه القزويني المتوفى سنة ٣٧٣هـ أو سنة ٢٧٥هـ .ينظر: علي بن نايف الشحود، المُفصَّلُ في علوم

الحديث، كتاب موجود على النت.

٢-**المعنى الثاني للسنة:** وقيل: هي -أي السنَّة- أقواله ﷺ وأفعاله، وتقريراته، وصفاته الخَلقية والخُلقية، وسائر أخباره سواء كان ذلك قبل البعثة أم بعدها، وكذلك أقوال الصحابة وأفعالهم.

وممن ذهب إلى هذا القول الإمام أبو حنيفة النعمان بن ثابت رضي الله عنه المتوفى سنة ١٥٠هـ فقد ورد عنه أنه قال: " ما جاءنا عن الصحابة اتبعناهم وما جاءنا عن التابعين زاحمناهم".

وقال: " إذا لم أجد في كتاب الله ولا سنة رسوله أخذت بقول أصحابه من شئت، وأدع قول من شئت ثم لا أخرج عن قولهم إلى قول غيرهم"(ينظر: أصول السرخسي (٣١٣/١).)

وكأن السنَّة عند أبي حنيفة مخصوصةٌ بالمرفوع والموقوف فقط، أما ما عداهما من المقطوع فلا، ولعل سنده فيما ذهب إليه قوله ﷺ: « فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِى وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ وَإِنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلاَلَةٌ »(عَنْ عِرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ قَالَ صَلَّى لَنَا رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- الْفَجْرَ ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا فَوَعَظَنَا مَوْعِظَةً بَلِيغَةً ذَرَفَتْ لَهَا الأَعْيُنُ وَوَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ قُلْنَا أَوْ قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ كَأَنَّ هَذِهِ مَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ فَأَوْصِنَا. قَالَ « أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَإِنْ كَانَ عَبْداً حَبَشِيًّا فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ يَرَى بَعْدِى اخْتِلاَفاً كَثِيراً فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِى وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ وَإِنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلاَلَةٌ ». مسند أحمد (١٧٦٠٨) و سنن الترمذى (٢٨٩١) وهو حديث صحيح مشهور. ينظر: علي بن نايف الشحود، المُفصَّلُ في علوم الحديث، كتاب موجود على النت.

٣-**المعنى الثالث للسنة:** وقيل: هي -أي السنة- أقواله ﷺ وأفعاله وتقريراته وصفاته الخَلقية والخُلقية وسائر أخباره سواء كان ذلك قبل البعثة أم بعدها، وكذلك أقوال الصحابة والتابعين وأفعالهم.

وممن ذهب إلى هذا القول الحافظ أبو بكر أحمد بن الحسين المعروف بالبيهقي

اذاً هذا هو المصداق المتعارف عند الجمهور لمفهوم: " الحديث" الشريف في مؤلفاتم ومصنفاتهم ومصادرهم ومراجعهم.

المتوفى سنة ٤٥٨هـ حيث أسمى كتابه -الذي جمع فيه ما جاء عن النبي ﷺ وفتاوى الصحابة والتابعين وأفعالهم- بالسُّنن الكبرى، وكأن السنَّة عنده تشملُ: المرفوع، والموقوف، والمقطوع.

ولعله استند فيما ذهب إليه إلى: أن الصحابة خالطوا رسول الله ﷺ، وشاهدوا الوحي والتنزيل، وكذلك خالط التابعون الصحابة وجالسوهم، وسمعوا منهم، فكان قولهم وفعلهم أولى بالقبول من غيرهم، وأصبح داخلاً في مفهوم السنَّة. ينظر: علي بن نايف الشحود، المُفصَّلُ في علوم الحديث، كتاب موجود على النت. وينظر المصادر التي ذكرناها في تعريف الحديث عند الجمهور. وينظر: تدريب الراوي، ٤٢/١. وينظر: النهانوي، ظفر احمد النهانوي ، قواعد في علوم الحديث، ص٢٤.

تعريف الدكتور للحديث:

أما الحديث بحسب ما أراه عند الإمامية، يعني: "الكلام الذي حكاه الرواة واخبرونا به عن: قول، وفعل، وتقرير المعصوم عليه السلام *[1] -

---

(١) *العصمة: صفة عند الإمامية تطلق على النبي محمد وآل بيته الطاهرين:، وهو قيد في التعريف خرج به حديث من لا يتصف بالعصمة كحديث الصحابة والتابعين، فان حديثهم ليس من السنة وإنما هي بمثابة الاجتهاد المتوقف عليهم فانتبه. فالحديث الشريف هو المأخوذ بنقل الرواة عن مصادر التشريع وينابيعه الأساسية، وهما النبي الأكرم صلى الله عليه وآله والأئمة المعصومون:لأنهم الامتداد الطبيعي للنبوة، وهم المعصومون المطهرون عن الذنب والخطأ، بنص القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً**﴾(الأحزاب،٣٣؛ ينظر تفسيرها: الطوسي، التبيان،٣٣٦/٨؛ الطبرسي، مجمع البيان،١٥٣/٨.فالآية الكريمة تُخبر أن العصمة هي القاسم المشترك الجامع بين النبي صلى الله عليه وآله والأئمة:وهي ملكة أو درجة عالية من السلوكية التي لا يمكن أن يخالطها الخطأ والنسيان، ولا يمكن أن يرقى إليها سوى نفر مخصوص من البشر، فالإمامة والعصمة صفتان خص الله تعالى بهما طائفة معينة من أهل البيت:ولأن الإمامة رئاسة دينية وزعامة إلهية، ونيابة عن الرسول صلى الله عليه وآله في أداء وظائفه في أمور الدين والدنيا، فالإمام يجب أن يكون معصوما كالنبي صلى الله عليه وآله ينظر: المرتضى، علي بن الحسين (ت: ٤٣٦ هـ)، الشافي في الإمامة،٥/١؛ الحلي، العلامة جمال الدين الحسن بن يوسف المطهر (ت: ٧٢٦ هـ)، كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد،٤٩٢ ؛والمظفر

حتى الحركات، والسكنات في اليقظة والنوم –، قبل البلوغ وبعده ".

محمد حسن، دلائل الصدق،٢١٧/٤و٢٣٧. ينظر بتصرف:عادل زامل عبد الحسين الزريجاوي،قواعد علم الحديث عند أئمة هل البيت:،أطروحة دكتوراه،الفصل الأول، ٨-١٢.

معنى[الشريف] في اللغة والاصطلاح:

الشريف : لغة ، مأخوذ من جذر ومادة الفعل شَرُف يشرف شرفاً وشُرّفه وشَرّفه وشرافه فهو شريف، والجمع أشراف والشرف: مصدر الشريف من الناس، والمشروف: المفصول . والشرف هو : الحسب والمجد، عن ابن جني: شرفته أشرفه شرفاً، أي: غلبته بالشرف فهو مشروف وفلان أشرف منه، والشرفة: أعلى الشيء، والشرف كالشرفة، والجمع أشراف، وجبل مشرف: عالٍ، والشرف من الأرض ما شارف لك، وأشرفتُ عليه: اطلعت عليه من فوق[1] ، والشريف في الاصطلاح يعني العظيم وهو من المعنى اللغوي ، وماخوذ عنه .

[1] ينظر : ابن منظور، لسان العرب ، ١ / ١٦٩-١٧٥.

المحور الثاني-الإعتبار العلمي الإصطلاحي:

- **تعريف "علوم الحديث"**[١] **كمصطلح**[١] هـو: "العلـم بقـوانين يعرف بها أحوال السند[٢] والمتن"[١]، أو "معرفة القواعد المعرفـة

(١) * الفرق بين " علوم " و" علم " : "علم " مفرد وهو اسم جنس ، واسم الجنس على نوعين : ١- اسم الجنس الجمعي فهو " ما يدل على أكثر من اثنـين ، ويفـرق بينه وبين واحده بالتاء "، والتاء غالبا تكـون في المفـرد : كبقـرة وبقـر ، وشـجرة وشجر ، و كلم وكلمة ، ٢- اسم الجنس الافرادي فهو " ما يصـدق عـلى الكثـير والقليل واللفظ واحد " كعلم وماء وذهـب وخـل وزيـت . ينظـر: ابـن عقيـل الهمداني ، شرح ابن عقيل ، ١ / هـامش ١٥. فمـثلاً "السـماء" و"السماوات"، اسم الجنس يطلق على المفرد و الجمع ، باعتبار أن جمع اسم الجنس يشبه مفـرده في كل شيء بدليل قوله تعالى : ﴿ **وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ** ﴾ الدخان ،٣٨ . وقوله تعالى ﴿ **وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ** ﴾ الأنبياء ،١٦ . فالسماوات السبع كالسماء الواحدة في ابتداء الخلق وفي إبداع الخلقة منظراً وجمالاً ، فكذلك من يُسمّى كتابه في علوم الحـديث بــ" علـم " فـإنما أراد

الجنس فكأن الكتاب تتساوىٰ موضوعاته في أهميتها وخدمتها لسنة سيد الأنام ﷺ ومن سمَّىٰ كتابه "علوم" أراد مجموع الموضوعات التي تخدم سنة النبي ﷺ فالعلم علىٰ إرادة الجنس الافرادي والعلوم علىٰ إرادة الجنس الجمعي. ينظر : الدكتور: أحمد السيد الجداوي ، تحقيق القول في تعريف علم الحديث رواية ودراية، ٦.

(١) *إن علوم الحديث : عبارة عن مجموع القواعد والمباحث الحديثية المتعلقة بالإسناد والمتن، أو قل بالراوي والمروي حتىٰ تقبل الرواية أو ترد . وهي عبارة عن جملة من القواعد التي تمخضت عنها جهود المحدثين في دراسة الحديث الشريف ، لذا نجد ان دور المتأخرين في مجال علوم الحديث هو جمع ما تفرق في كتب النقاد من نصوص ومصطلحات ، ثم تحديد معانيها وضبط مدلولاتها ، بوضع تعريفات لكل منها، منضبطة بقواعد المنطق ، حتىٰ تستقر علىٰ شكل مصطلحات ، بحيث إذا أطلق لفظ أو مصطلح حديثي لا يتبادر إلىٰ الذهن إلا ذاك المعنىٰ المحدد . ينظر بتصرف : د. حمزة عبد الله المليباري ، عُلوم الحديث في ضوء تطبيقات المحدثين النقاد ، ٥-٦ .

(٢) أحوال السند : قيد في التعريف خرج به العلوم التي لا تتعلق بالسند كقواعد النحو والصرف وقواعد الأصول وغير ذلك ، علىٰ ان أحوال السند تشمل معرفة الصحة والحسن والضعف وصفات الرواة من حيث الجرح والتعديل ، وتراجمهم، وطبقات الرجال ، وكيفية التحمل والأداء وما شابهها .

بحال الراوي والمروي"[٢]، واجد لزاما ان اعرف علم الحـديث بالتعريف التفصيلي التالي: وهو " العلـم الـذي يهـتم بدراسـة حديث المعصوم سنداً ومتناً ، من جهة القواعد والمباحث التي تبين أنواع الحديث ، وأقسامه ، ومراتبه ، وشروطه ، وشروحه ، ومعانيه ، ونقـده ، وعللـه ، ودرايتـه ، وغريبـه، واختلافـه، ومقاصـده، وتدوينـه، وضـبطه، وحـال الـرواة، وأصـنافهم، وأوصافهم، وشروطهم في التحمل والأداء ، مـع بيـانِ أقـوالِ أهل العلمِ من المتقدمين والمتأخرين والمعاصرين في فلك ذلـك

---

(١) الخطيب البغدادي (ت٤٦٣هـ) ، الكفاية في علم الرواية ، تحقيق : أحمد عمر هاشم ، الطبعة : الأولى ، الناشر : دار الكتاب العربي – بيروت ، سنة الطبع : ١٤٠٥ – ١٩٨٥ م ، ص : ٦.

(٢) الخطيب البغدادي (ت٤٦٣هـ) ، الكفاية في علم الرواية ، تحقيق : أحمد عمر هاشم ، الطبعة : الأولى ، الناشر : دار الكتاب العربي – بيروت ، سنة الطبع : ١٤٠٥ – ١٩٨٥ م ، ص : ٦.

العلم وبوتقته واغواره؛ لغرض معرفة حكمه؛ بغية العمل به أو تركه".

علم الحديث ذو قوانين تحد ... يدرى بها أحوال متن وسند
فذانك الموضوع والمقصود ... أن يعرف المقبول والمردود [1]

(١) السيوطي ، ألفية السيوطي ، ٥٠.

العلاقة بين السنة والحديث:

قد يدور في خاطر أي باحث متمرس تساؤلٌ حول العَلاقة بين الحديث والسنة ؟ هل بينهما علاقة تلازم، ترادف، اشتراك معنوي، ام علاقة تباين واختلاف؟

في الحقيقة يمكن ان نلحظ السنة بعدة لحاظات، فهي تُرادف الحديث في بعض استعمالات المُحَدِّثِيْن ، وهي قد تعني بعض سيرة المعصومين عليهم السلام ، وهي يمكن ان يُقصد بها بعض اقسام الحكم الشرعي كما عند الفقهاء، وهي يمكن ان يقصد بها ما يقابل البدعة كما عند المتكلمين، ويمكن ان يراد بها الدليل الذي يقع قِبال القرآن العظيم عند الاصوليين،... والسنة يمكن ان يراد بها مجموع: فعل وقول واقرار المعصوم عليه السلام الذي يقابل الحديث -الذي يعني بالأصالة- كلام المعصوم وقوله-بفرعية الإخبار والإنشاء- وهذا هو عند النحويين...ودواليك. لكنَّ البحث يرى من الضرورة ان نميز في علوم الحديث بين الحديث والسنة، اذ يرى الباحث انه يوجد بين السنة والحديث علاقة عموم وخصوص من وجه

، فكل سنة حديث، وليس كل حديث سنة– فالسنة اخص من الحديث، والحديث اعم من السنة–؛ والعلة في ذلك التمييز؛ لان بعض الحديث مكذوب ، وبعضه ضعيف ، وبعضه موهوم ، وبعضه مخلوط بكلام الصحابة والعلماء، فكان من الواجب ان نميز بين المقطوع بصحته من اقوال وافعال وتقارير المعصومين عليهم السلام كي يتسنى ان نثق من انفسنا في حديثنا عنهم عليهم السلام واخذ ديننا الصحيح منهم عليهم السلام، من دون تشكيك او احتمال ضعف الحديث اواختلاطه مع اقوال الصحابة او وضعه من قِبل المغرضين.

لذلك اجد من يرى أو يقول أو يعتقد أن السنة هي الحديث أو صحة العكس، فإنما في ذلك وقفةٌ وتأملٌ[1].

(١) إن بعض الباحثين يطلقون لفظ (السنة) ويريدون به (الحديث) كما يطلقون لفظ (الحديث) ويريدون به (السنة) فهم يعدونها من المشتركات المعنوية، أي لافرق بينهما، فهما مترادفان معنويا لا لفظيا. واستعمالهما يكون بحاكمية السياق ليس الا. وهذا فيه رد؛ لان الحديث أعم من السنة،والسنة أخص من الحديث؛ فالحديث فيه المعتبر والمقبول كما فيه الضعيف والمردود . بينما السنة يجب الا تكون كذلك.

اشكال/ قد يقول بعض تبقى نظريتك هذه موكولة الى المباني المذهبية(الشيعية والسنية) ، اذ المذاهب متعددة على ارض الواقع الاسلامي ؟ فكيف يمكن الجمع بينها جميعا ولكل منها مبنى خاص في الحاكمية على صحة الحديث من ضعفه؟

قلنا : يجب ان نشخص المذهب الحق، ونسري ونجري على اصوله وضوابطه في فحص الحديث للرقي به الى السنة المطهرة التي لا يشوبها شائب.

والذي يظهر للبحث أن السنة اخص من الحديث، والحديث اعم من السنة؛ لان الحديث – يمكن أن نقول انه – اسم جنس يطلق على جميع ما اصطلح عليه العلماء وأهل الفن في مقام الحديث الشريف وعلومه،

اشكال/ الشيء بالشيء يذكر، فلو فرضنا جدلا، اننا يمكن ان نشخص ونعين المذهب الحق، فأنا لنا ان نجمع التعددية في ذلك المذهب ، اذ مع فارق القياس– على اعتبار ان الامثال تضرب ولا تقاس– ان في المذهب الواحد مباني فقهية وحديثية متنوعة، فالسنة مثلا فيها اكثر من مدرسة، والشيعة كذلك ولكل مدرسة مبنى خاص في قراءتهم لاعتبار الحديث من عدم اعتباره، فكيف يمكن ان نطوي تلك التعددية المبنائية تحت ظل وبوتقة الوحدة الموضوعية؟

قلنا/ ان هذا الاشكال مدفوع من خلال استقراء الاطر العامة للمذهب الحق، فالمذهب الحق بكل تنوعه وتفرعه يجمعه وحدة هدف ويجمعه الكثير من الاواصر واهم ما يجمعه –بحكم الواقع– ما ورد عن المعصومين عليهم السلام من ارث عظيم، اذ ان جميع الفرق التي تنطوي تحت المذهب الشيعي مثلاً يجمعها وحدة الموروث الروائي الذي جاء عن المعصومين عليهم السلام، ونحن نعلم ان هذا الموروث فيه من القواعد العامة والاساسية في تمييز الحديث الصحيح من غيره، مما يتيح لنا ان نسمي الممحص منه والمدقق بـ(السنة).

علما ان حديثنا يكون بخصوص الاطر العامة للمذهب الحق، مع لحاظ البعد الزمني عن عصر النص، ولحاظ الظروف القاسية التي مر بها المروث الروائي، لذلك يمكن ان نقول لكل قاعدة شواذ.

وهذه الاصطلاحات هي بنظر بعضهم مصطلحات ثبت بطلانها وضعفها؛ لكذب أو تحريف او تخليط ... ، ومع ذلك العلماء يسمونه حديثا ؟

فاذا قلنا ان الحديث هو ما ورد عن المعصوم عليه السلام من قول او فعل او تقرير، كيف جاز للعلماء بعد ثبوت بطلان الحديث وكذبه ان يسمونه حديثا؟ فهل يرد عن المعصوم حديثاً مكذوباً او مغلوطاً؟

فاذا ثبت انه مكذوب كيف يسيغ لهم ان يسمونه حديثا ؟ وذلك قولهم: الحديث الموضوع، الحديث المكذوب، الحديث المحرف؟

في حين لا يقول أهل العلم من الفقهاء والأصوليين والمحدثين – على نحو الشياع والشهرة –: هذه السنة المكذوبة، أو هذه السنة المحرفة، أو السنة المصحفة أو السنة الضعيفة، وانما السنة هي ما تسالم عليها علماء المسلمين من انه وارد وثابت ويفيد العلم انه صدر عن المعصومين عليهم السلام.

اضف الى هذا ان القرآن الكريم والائمة الطاهرين كثيرا ما يستعملان مصطلح (السنة) لا مصطلح (الحديث) في توجيهاتهما وارشاداتهما الشرعية للامة الاسلامية والانسانية.

فقد قال الله عزّوجلّ: ﴿سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ [(١)] ، وقال تعالَى : ﴿فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾ [(٢)]، فنَبَّه على أنَّ وجُوه الشَّرائِع وإن اخْتَلَفَتْ صُورُها ، فالغَرَضُ المَقْصُودُ منها لا يَخْتلِفُ ولا يَتَبَدَّلُ ، وهو تَطْمِينُ النَّفْس وتَرْشِيحُها للوُصولِ إلى ثَوابِ الله تعالى . وكذا قوله تعالى : ﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ... ﴾ [(٣)]. قالَ الزَّجَّاجُ : أَي مُعَايَنَةُ العَذابِ وطَلَبُ المُشْرِكِين إذ قالوا : اللّهُمَّ إن كانَ هذا هو الحَقُّ مِن عنْدَك فأَمْطِرْ علينا حِجارَةً مِنَ السَّماءِ [(٤)] ، وغيرها من الايات القرآنية ، حيث نجد القرآن قد استعمل السنة بدل الحديث مما يرجح الكفة التي نميل اليها. هذا بخصوص ما ورد في القرآن الكريم.

اما بخصوص ما ورد عن المعصومين عليهم السلام: فقد قال النبي صلى الله عليه وآله : من حفظ من أمتي أربعين حديثا من السنة كنت له شفيعا يوم القيامة " [(٥)].

- قال رسول الله صلى الله عليه وآله :"من حفظ على أمتي أربعين حديثا من السنة، كنت له شفيعا يوم القيامة"[(١)].

---

(١) الفتح، ٢٣.

(٢) فاطر، ٤٣.

(٣) الكهف، ٥٥.

(٤) الزبيدي، تاج العروس، ١٨/ ٣٠٠.

(٥)الحر العاملي، وسائل الشيعة، ٢٧ /٩٨.

- قال رسول الله ﷺ : " اتقوا الحديث عني إلا ما علمتم، فمن كذب علي معتمدا فليتبوأ مقعده من النار"[٢].
- قال النبي ﷺ : "من أدى إلى أمتي حديثا يقام به سنة أو يثلم به بدعة فله الجنة "[٣].
- عن أبي جعفر عليه السلام قال: " كل من تعدى السنة رد إلى السنة"[٤].
- عن ابن أبي عمير، عن بعض أصحابه، قال: سمعتُ أبا عبد الله عليه السلام يقول: " من خالَفَ كتابَ الله وسُنَّةَ محمّد ﷺ فقد كَفَرَ ".
- عن يونس، رَفَعَه، قال: قال علي بن الحسين عليه السلام : " إنَّ أفْضَلَ الأعمالِ عند الله ما عُمِلَ بالسنّة وإن قَلّ "[٥].
- عن أبان بن تَغْلِبَ، عن أبي جعفر عليه السلام أنّه سُئلَ عن مسألة فأجابَ فيها، قال: فقال الرجال: إنَّ الفقهاءَ لا يقولونَ هذا، فقال: "يا ويحك، وهل رأيتَ فقيهاً قطُّ؟ ! إنّ الفقيهَ حقَّ الفقيهِ الزاهدُ في الدنيا، الراغبُ في الآخرة، المتمسّكُ بسنّة النبيّ ﷺ "[٦].

---

(١)النوري، مستدرك الوسائل، ١٧ / ٢٨٨.
(٢)النوري، مستدرك الوسائل، ١٧ / ٢٨٨.
(٣)المجلسي، بحار الانوار، ٢ /١٥٢.
(٤)الكليني، الكافي، ١ /٧١.
(٥) الكليني، الكافي، ١ / ٧٠.
(٦) الكليني، الكافي، ١ / ٧٠.

- عن أبي عثمان العَبْديّ، عن جعفر، عن آبائه، عنأمير المؤمنين: قال: " قالَ رسولُ الله ﷺ لا قولَ إلاّ بعَمَل، ولا قولَ ولا عملَ إلاّ بنيّة، ولاقولَ ولا عملَ ولا نيّةَ إلاّ بإصابة السنّةِ "[١].
- عن جابر، عنأبي جعفر عليه السلام قال: قال: " ما من أحد إلاّ وله شِرَّةٌ وفَتْرَةٌ، فمن كانَتْ فَتْرَتُه إلى سنّة فقد اهْتَدى، ومن كانت فَتْرَتُه إلى بِدْعَة فقد غَوى "[٢].
- وأخيرا ما ذكره السكونيّ، عن أبي عبد الله، عن آبائه عليهم السلام قال: " قالَ أمير المؤمنين عليه السلام: السنّةُ سُنَّتانِ: سنَّةٌ في فريضة، الأخْذُ بها هُدًى، وتَرْكُها ضَلالَةٌ؛ وسنّةٌ في غير فريضة، الأخْذُ بها فضيلَةٌ، وتَرْكُها إلى غير خطيئة "[٣]. وهذا كله يؤيد ما نذهب اليه من كون السنة هي الاصوب في تعيين ما صح عن المعصومين عليهم السلام من اقولا وافعال واقرارات.

وما يعضد كون السنة اخص من الحديث من حيث لحاظ الصحة والضعف [اكرر من حيث لحاظ الصحة والضعف لا من حيث العموم]ان السنة تشمل قول وفعل واقرار المعصوم عليه السلام، على اعتبار معنى السنة هي

(١) الكليني، الكافي، ١ / ٧٠.

(٢) الكليني، الكافي، ١ / ٧٠.

(٣) الكليني، الكافي، ١ / ٧١.

الطريقة المتبعة والسلوك الخاص بذات الشخص، مما يستلزم ان يشمل سلوك المعصوم كل ما يصدر عنه من اقوال وافعال واقرارا ، فقد ورد عن الامام علي بن الحسين عليه السلام بخصوص شهر شعبان قوله:" وهذا شهر نبيك سيد رسلك شعبان الذي حففته منك بالرحمة والرضوان ، الذي كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يدأب في صيامه وقيامه في لياليه وأيامه بخوعا لك في اكرامه وإعظامه إلى محل حمامه ، اللهم فأعنا على الاستنان بسنته فيه..."[١]. اذ هنا يظهر شمول السنة لافعال الرسول واقواله واقراره.

في حين الحديث اولا وبالذات يشمل كلام المعصوم فقط (وهو قوله) من دون قرينة تشير الى شمول (فعل) المعصوم و(اقراره) ضمن مصطلح الحديث، الا ان شياع استعمال مصطلح الحديث في صفوف المحدثين والعلماء صار مصطلح الحديث يطلق تجوزا على فعل المعصوم وقوله واقراره.

وكيفما كان فان البحث يرى: ان مصطلح الحديث إنما ينظر له بلحاظين :

اللحاظ الأول: إذا تسالم على صحته في رجوعه للنبي وآله عليهم السلام من جهة الإثبات أو النفي، القبول أو الرفض للموضوع، فهو حين إذٍ يسمى: "سنة ".

(١) الحر العاملي، وسائل الشيعة، ١٠/ ٤٩٢.

اللحاظ الثاني: إذا كان يدور الحديث في دائرة الشك، أو لم يعقل أو يفهم أو ثبت بطلانه عند قوم، ولم يثبت بطلانه عند قوم آخرين، فالأولى له أن يبقى على مسماه وهو: " الحديث "، ويرد إلى قائله، مع احتمال أن يكون سنة أو لا يكون، وبهذا المعنى وردت اخبار ابرزها:

- قال أمير المؤمنين عليه السلام: "إذا سمعتم من حديثنا ما لا تعرفون فردّوه إلينا وقفوا عنده وسلّموا حتّى يتبيّن لكم الحق، ولا تكونوا مذاييع عجلى"[١].
- ورد عن الامام الباقرعليه السلام قوله: "...انظروا أمرنا وما جاءكم عنا، فإن وجدتموه للقرآن موافقا فخذوا به، وإن لم تجدوه موافقا فردوه، وإن اشتبه الأمر عليكم فقفوا عنده، وردوه إلينا حتى نشرح لكم من ذلك ما شرح لنا..."[٢].
- محمد بن عيسى قال: أقرأني داود بن فرقد الفارسي كتابه إلى أبي الحسن الثالث عليه السلام وجوابه بخطه، فقال: نسألك عن العلم المنقول إلينا عن آبائك وأجدادك قد اختلفوا علينا فيه كيف العمل به على اختلافه؟ إذا نرد إليك فقد اختلف فيه. فكتب–وقرأته–: ما علمتم أنه قولنا فالزموه وما لم تعلموا فردوه إلينا"[٣].

---

(١) القبانجي، حسن، مسند الإمام علي٧، ١/ ٩٠.

(٢)المجلسي، بحار الانوار، ٢ /٢٣٥.

(٣)الحر العاملي، وسائل الشيعة، ٢٧ /١٢٠.

وفي الخلاصة نقــول: أن "الحديث" فيه المعتبر والمقبول كما فيه الضعيف والمردود. بينما السنة ليست كذلك، ويجب ان لا تكون كذلك. وهذه كلها مصطلحات تتعلق بالحديث وليست بالسنة، كما ان الحديث الضعيف والموضوع لا يؤخذ منه سنة، اضف الى ذلك انه ليس كل حديث صحيح يؤخذ منه سنة نبوية حيث أن هناك الناسخ والمنسوخ، فالمنسوخ ليس من السنة بالنسبة لنا وان كان سنة بلحاظ ما او كان كذلك قبل نسخه.. وهكذا.والخلاصة: (الحديث) هو المادة التي يؤخذ منها (السنة المطهرة).

وعليه تكون سنة المعصوم هو الحديث الذي تسالم العلماء على تواتره لفظيا فظلا عن كونه معنويا، بل ابعد من هذا، فالسنة اليوم صارت تشمل الخبر الواحد الذي اسند اليه العديد من القرائن التي تخرجه من دائرة الاحاد إلى دائرة التواتر المعنوي.

تنويه/ اذا وجدت في هذا البحث استعمالنا للسنة والحديث بآن واحد، فانما هو من قبيل من يقول بترادف الحديث والسنة من وجه وليس على اطلاقه كما مر التفصيل.

حدود علاقة السنة المطهرة بالقرآن الكريم

ان حدود علاقة الحديث الشريف بالقرآن الكريم هي علاقة خادم، فقد يقول بعض: إن اهتمام العلماء بالحديث الشريف وعلومه إنما هو متأتٍّ من القيمة المعنوية للحديث الشريف، إذ إن لعامله الأجر الكبير، والثواب الوفير، لكنَّه ليس بهذه الصورة —وان كان لا يخلو من صحة وإصابة —اذ ان اهمية الحديث الشريف انما تقومت؛ لان للحديث وظيفة عملية تجاه القرآن العظيم -الذي يمثل الشريعة الإسلامية- يجب ان يقوم بها، فالحديث الشريف يقوم على محاور أربعة هي نفسها محاور القرآن العظيم كما هو مبين في الجدول البياني أدناه :

	محاور القرآن العظيم	محاور السنة المطهرة
١	آيات الأحكام	أحاديث الأحكام
٢	آيات العقيدة	أحاديث العقيدة
٣	آيات الأخلاق	أحاديث الأخلاق
٤	آيات عامة	أحاديث عامة

فالعلماء يرون أن الوظيفة العملية للحديث الشريف إنما يقع دوره تجاه خدمة الشريعة الإسلامية *[1] السمحاء عموما، فهي المعمول وهو العامل، وهي المفعول وهو الفاعل. وهذه الوظيفة العملية للسنة المطهرة تنطوي تحت مهام ثلاث:

١- **وظيفة بيانيـــــة**: إذ اخذت السنة المطهرة على عاتقها ان تبين وتوضيح وتفسير آيات القران العظيم بكل ابعاده وزواياه، فالسنة المطهرة بينت ألفاظ القران الكريم، وفصلت مجملاته، وقيدت مطلقاته، وخصصت عمومياته، واحكمت متشابهاته.

٢- **وظيفة تأكيديـــة**: كذلك من وظائف السنة المطهرة انها تقوم بتأكيد آيات القران العظيم بجميع اركانه واقسامه ومحاوره وابعاده.

(١)* الشريعة الإسلامية هي مجموع العلوم الآتية : أ- العلوم العملية الفقهية التي تسمى "بعلم الفروع"، ب- العلوم العلمية العقائدية التي تسمى "بعلم الأصول"، ج- العلوم التهذيبية الأخلاقية التي تسمى "بعلم الأخلاق". وهذه العلوم انما تنطوي تحت مستويي الدليلين الأصليين: القرآن والسنة، إذ كلا القرآن والسنة فيهما: " فقه وعقيدة وأخلاق "، ومجموعهما يكون الشرع الإسلامي.

٣- **وظيفة تأسيسية**: ان ميزات السنة المطهرة في الاسلام، انها تقوم بوظيفة تأسيس الأحكام الشرعية التي سكت عنها القرآن العظيم، ولم يتطرق اليها[١].

---

(١)أن السنة التأسيسية هي الأحكام التي أصدرتها السنة بمعزل عن القرآن الكريم بأمر من السماء، سواء كانت تلك التشريعات الصادرة من المعصومين عليهم السلام في مقام الأحكام الوضعية أو في مقام الاحكام التكليفية مثل السنة الشريفة المثبتة لمانعية قتل الوارث مورثه من ميراثه، أو كراهة الدخول في سوم المؤمن(هو أن يرى اثنين يتساومان في بيع وشراء فيدخل قبل أن ينتهي الأمر بينهما بالقبول أو الرد)، او وجوب نفقة الوالدين. ونحو ذلك كحديث: لا يجمع بين المرأة وعمّتها، ولابين المرأة وخالتها. فالسنة مصدر تشريعي مستقل، وكذلك كالصلاة إلى بيت المقدس من دون وجود نص قراني، بل على العكس جاء القران لينسخ سنة الصلاة إلى بيت المقدس نحو الكعبة المشرفة، مما يعني وجود سنة تاسيسية قد سكت القران عنها مثل الامر الذي صدر بالتوجه إلى بيت المقدس في الصلاة قبل نسخ هذه القبلة، وذلك قوله تعالى: ﴿ **وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلاَّ لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ...** ﴾ البقرة،١٤٣، فالاية تبين ان القبلة الأولى كانت بوحي من الله "عزوجل"، ولكنه غير متلو ومقروء ومكتوب، ثم نزل الوحي المتلو يغير هذه القبلة، قال تعالى: ﴿ **قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِك فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ** ﴾ البقرة،١٤٤ ولعل بيان هذا المعنى يتضح في شأن نسخ استقبال بيت المقدس الثابت بالسنة، إذ يحتمل أنّ المسلمين في مكة كانوا يتوجهون إلى الكعبة منذ أن فرضت الصلاة- وليس في هذا نص قرآني -، والمسلمون بعد الهجرة أمروا أن يتوجهوا إلى بيت المقدس بأمر إلهي للرسول صلى الله عليه وآله، ومدة التوجه

لبيت المقدس: سبعة عشر أو ثمانية عشر شهرا، وهو أمر غير قرآني أيضاً أي أمر من السنة المطهرة، ثم جاء الأمر القرآني الأخير: ﴿ **قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِك فِي السَّمَاء فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ**﴾ البقرة،١٤٤. وَمَثَلُهُ تحول القبلة من المسجد الأقصى إلى الكعبة.والغرض من ذلك هو قوله تعالى : ﴿ **وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إلاَّ لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إلاَّ عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ** ﴾ البقرة،١٤٣. وكذلك من الامور التي جاءت السنة لتؤسس وتبني حكما شرعياً سكت القرآن الكريم عن ذكره وتأسيسه كحرمة لبس الحرير على الرجال، واستحباب الأذان في الصلاة الواجبة، وعدم زواج الرجل من خالة او عمت زوجته الا بإذنها.وكذلك: دية العين ودية النفس وحرم النبيذ وكل مسكر وهو بدليل ما ورد عن الامام أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: وضع رسول الله صلى الله عليه وآله دية العين ودية النفس وحرم النبيذ وكل مسكر، فقال له رجل: وضع رسول الله صلى الله عليه وآله من غير أن يكون جاء فيه شيء ؟ قال: نعم ليعلم من يطع الرسول ممن يعصيه ". الكليني، الكافي، ١ / ٢٦٧.

قد يُشكل: كيف للسنة ان تستقل في الاحكام الشرعية دون وجود اصل لها في القرآن العظيم؟ اليس من الغريب حصول مثل ذلك؟ وقد قال الله عزوجل: ﴿ما فرطنا في الكتاب من شيء﴾ (الأنعام: ٣٨) ، وقوله تعالى:﴿ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء﴾ (النحل: ٨٩) ؟

الجواب يطول/ الا انه ينحل بالمنقول والمعقول، فالمنقول كما مر من رواية الامام الباقر عليه السلام اعلاه، والمعقول بالاضافة الى المنقول نحيل القارئ فيه الى النظر في الدراسات التي قامت من اجل الدفاع عن السنة الشريفة: "دراسات في السنة وعلوم الحديث"، د. أحمد حسين محمد إبراهيم، مطبعة الحسين الإسلامية، القاهرة، ط١،

فهنا يتبين أن الحديث الشريف يتنوع في وظائفه: ١- فالحديث الشريف مُبينٌ للقرآن الكريم ومبينٌ لبعض الاحاديث، و٢-هو مؤكدٌ للقرآن الكريم ومؤكدٌ لبعض الاحاديث، و٣-هو مؤسس للأحكام التي لم يتطرق اليها القرآن الكريم او يذكرها بين آياته.

وكذلك اشير إلى مسالة: ان السنة هي أصلا شرح للقرآن العظيم، وترجمان لسيرة المعصوم عليه السلام، بمعنى: ان السنة المطهرة هي الشارحة للقرآن الكريم والموضحة له في الاعم الاغلب، في حين كان بفعل الزمن وبفعل تجدد اللغة العربية ان اصبح للسنة المطهرة شرح وهو ما يعرف اليوم بتفسير الحديث أو شرح الحديث. لذلك يظهر ان القرآن لا

١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م. دفاع عن الحديث النبوي، د. أحمد عمر هاشم، مكتبة وهبة، القاهرة، ط١، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م. حجية السنة ورد الشبهات التي أثيرت حولها، الجامعة الدولية بأمريكا اللاتينية، طبعة خاصة. الشبهات الثلاثون المثارة لإنكار السنة النبوية "عرض وتفنيد ونقض"، د. عبد العظيم إبراهيم محمد المطعني، مكتبة وهبة، القاهرة، ط١، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م. السنة النبوية بين كيد الأعداء وجهل الأدعياء، حمدي عبد الله عبد العظيم الصعيدي، مكتبة أولاد الشيخ، مصر، ط١، ٢٠٠٧م. السنة الإسلامية بين إثبات الفاهمين ورفض الجاهلين، د. رؤوف شلبي، مطبعة السعادة، القاهرة، ط١، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م. ينظر : الزعم أن الدين مكتمل بالقرآن دون السنة، بحث موجود على النت.

يفسره الا كلام المعصومين عليهم السلام؛ لانهم صنو القران، ولانهم لاينطقون ولا يفعلون ولاينهجون الا بالقرآن العظيم الذي نزل في منازلهم، مما يستلزم ان يكون اهل مكة ادرى بشعابها.

وما يؤيد ذلك ما ورد عن محمد بن الحسن الخوارزمي قال سمعت علي بن المديني يقول قال عبد الرحمن بن مهدي الرجل إلى الحديث أحوج منه إلى الأكل والشرب وقال الحديث تفسير القرآن [1]. ومثل ذلك كثير.

(١) الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣هـ)، الكفاية في علم الرواية، ٣١.

تمنيات الباحث :

وفي الختام لايسعني إلا أن أقول : شكراً لله على مـا يسّـره لي في دراسـة هـذا البحث وإتمامه ، فهذا جهدي المقل ، وما هو إلا محاولة من الباحث لـلإدلاء بـدلوه في هذا المعترك الخضَمّ الصعب ، فان حققت ما أبغي إليه ، فذلك ما يُرجى ويُؤمَّل ، وهو بعين الله وفضله ومَنِّه، وإنْ جانبـني الصواب فهذا من نفسي وتقصيري ، وهـو مبلـغ علمي ﴿ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴾ يوسف:٧٦ ؛ وهو حال أعمال البشـر ، فكـل ابـن آدم خطّاء ، فلا ادعي لبحثي الكمال المطلق، وحسبي أني بذلت الجهد لإظهـاره بالصـورة اللائقة ، وأعطيته جُلّ وقتي وتفكيري ، فلم ابخل عليه بوقت أو عناء ، والعـذرُ عنـد كرام الناس مقبول، وما توفيقي إلا بالله الذي: ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ البقرة:٢٨٦ .

أنا ما كتبتُ لكي امجد طاغيـا *** حاشاك – يا قلم العلا – حاشاكا

يا رب ، عطر لي حروفي بالرضا *** ما ضل من يسعى لنيل رضـاكا

والله ولي التوفيق وهو المستعان على سوء الازمان وقلة الاعوان

﴿ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ يونس: ١٠.

﴿ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ هود: ٨٨.

الباحث

د. مصطفى صالح الجعيفري

١/١/٢٠١٥م